

Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Colossians

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل كولوسي

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

رسالة بولس الرسول إلي أهل كولوسي

الاصحاح الثالث: السلوك المسيحي والأسرة المسيحية
"فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن
يمين الله. اهتموا بما فوق، لا بما على الأرض" [1 - 2]

- بعد أن حذرهم من البدع التي تحط من شأن السيد المسيح وعمله الخلاصي،
كشف لهم عن بركات الاتحاد مع السيد المسيح القائم من الأموات والصاعد إلى
السموات. فالمؤمن يطلب ما هو فوق، أي يشترك ويسأل ويجاهد بالنعمة
الإلهية لكي يتمتع بما هو لمملكة السيد المسيح. هذا يتطلب منه رفع فكره
ليستقر في السماويات "حيث المسيح جالس عن يمين الله".
- يقول القديس أغسطينوس: [الجسد أرضي (ترابي)، لكن لترفض أن تكون
أرضاً. ما معنى ذلك؟ اشتته ما فوق، "لا بما على الأرض". إن كنتم لا تشتهون
الأرضيات فلستم أرضاً، وإن لم تكونوا أرضاً، فلن تخدمكم الحياة، التي طعامها
المفضل هو الأرض.]

"لأنكم قد متم، وحياتكم مستترة مع المسيح في الله.
متى أظهر المسيح، حياتنا، فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.

When Christ, who is our life, appears, then you also
"will appear with Him in glory [4 - 3]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لا شيء أكثر بركة من ذلك الدفن (مع السيد المسيح)، حيث يفرح الجميع، الملائكة والبشر ورب الملائكة، في هذا الدفن لا حاجة لنا إلى ثياب ولا إلى أية أربطة ولا إلى أي شيء من ذلك، فهل ترون رمز ذلك؟ سأريكم حين دفن الإنسان وذلك الجرن حيث قام. في البحر الأحمر غرق المصريون في القاع، لكن خرج منه الإسرائيليون سالمين، هكذا أيضاً، فإنه يدفن الواحد ويقوم الآخر. لا تتعجبوا من أن الميلاد والموت يحدثان في آن واحد داخل المعمودية... لم يتحدث كثيراً في الحقيقة عن أمور هذه الحياة، بل كانت معظم تأملاته في أمور السماء، إذ يقول "لأن حياتنا مستترة مع المسيح في الله" وأكاليينا (حرفياً مكافأتنا) هناك. وجهادنا هو لأجل الأكاليل هناك. لأن تلك الحياة لا تنتهي بعد الموت، بل تضيء أكثر فأكثر. وفي الحقيقة فإن الذين يتبعون هذه القاعدة، لهم كرامة أعظم.]

"فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنى، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطمع الذي هو عبادة الأوثان. الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء

المعصية" [5 - 6]

- "فأميتوا أعضاءكم": لا يعني هنا تدمير الأعضاء الجسدية، بل تترك شهوات الجسد ونقبل الروح القدس. فعبادة الأوثان ليست قاصرة على تقديم البخور والذبائح للأصنام، إنما الطمع هو عبادة أوثان أو بالحري بيع الرب بثلاثين من الفضة (حاسباً الإنسان) أنه عمل بار. والشهوة تشمل الدنس، فيدنس الناس أعضاء السيد المسيح التي يجب أن تكون "ذبيحة حية مقبولة أمام الله" (رومية 12: 1). والهوى "الخداع" أيضاً عبادة أوثان، وفي سفر الأعمال نقرأ عن الذين تبرعوا بممتلكاتهم، لكن البعض منهم جزوا جزءاً منها أو من ثمنها، فهلكوا بموت رديء في الحال. إذن، هنا يتكلم عن الأمور الأرضية كأنها خطايا ولذلك يسرد كل القائمة معاً، لأن الحسد والغضب والهوى كلها شهوات رديئة.
- ماذا يعني بغضب الله؟ الله الكلي الحب والقداسة لا يحطم أحداً، فإذا اختار الإنسان الفساد يسلمه الله لحرية ارادته. "أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم... أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض" (رومية 1: 24 - 28). ونلاحظ أنه لم يقل "عليكم" بل "على أبناء المعصية".

"الذين بينهم أنتم أيضاً سلكتم قبلاً، حين كنتم تعيشون فيها. وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل: الغضب، السخط، الخبث، التجديف، الكلام القبيح من

أفواهكم" [7 - 8]

- يقدم لهم حياتهم قبل الإيمان مثلاً عملياً حين كانوا يعيشون في الخطية، حتى دخلت نعمة الله في حياتهم وانتشلتهم من قيودها وحررتهم، لكن بقي لهم أن يجاهدوا بالنعمة لكي يعيشوا كما يليق بأبناء الله القديسين.

- **"الغضب"**: هو انفعال الإنسان للأحداث بسبب تطلعه إلى الأحداث المحيطة به عوض الانشغال بالسيد المسيح الساكن فيه، لهذا يفقد سلطانه في الرب يسوع، مبرراً بأنه إنسان بطبعه انفعالي: **"البطيء الغضب خير من الجبار، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة" (أمثال 16: 32)**. **"السخط"**: حيث يتحول الغضب إلى ثورة انفعالية. **"الخبث"**: وهو أخطر من الغضب والسخط، إذ يلبس الإنسان صورة الهدوء والسكون بينما يحمل في داخله روح الكراهية والانتقام، وذلك كما دبر أبشالوم لقتل أخيه أمنون (2 صموئيل 13). **"التجديف"**: التهجم الكاذب على الله وتدبيره وخطئه من جهة البشرية، والأمجاد المعدة للقديسين. **"الكلام القبيح"**: كالهزل والفكاهة غير الهادفة والتهكم على الآخرين، **"لا القباحة ولا كلام السفاهة، والهزل التي لا تليق، بل بالحري الشكر" (أفسس 5: 4)**.

"لا تكذبوا بعضكم على بعض، إذ خلقتكم الإنسان العتيق مع أعماله. وليستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه. حيث ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري وسكيثي، عبد وحر، بل المسيح الكل وفي الكل"

[9 - 11]

- **"الكذب"**: إن كان السيد المسيح هو الحق، فإن إبليس هو الكذاب وأب الكذابين. **"لم يثبت في الحق، لأنه ليس فيه حق، متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب" (يوحنا 8: 44)**. **"الإنسان العتيق"**: يتجدد للمعرفة كعلامة للحياة الجديدة، فإنه ليس من حياة في السيد المسيح دون نمو، وليس نمو دون استنارة بقوة الروح القدس، حتى يتشكل الإنسان الداخلي على صورة خالقه، فيصير أيقونة حية للسيد المسيح العريس السماوي.

- لعل أكثر الحواجز خطورة كان الجنس **"اليهودي والأممي"** أو **"الختان والغرلة"**، كما أيضاً الحواجز الطبقية، طبقة السادة الأحرار وطبقة العبيد.

- في العهد الجديد تشير كلمة يوناني إلى الأمم (رومية 1: 16). **البرابرة** هم كل من كان لا يتكلم اليونانية كلغة الثقافة في ذلك الحين، **والسكيثيون** حسبوا بدائيين وكانوا مشهورين بالخشونة والوحشية، وكانوا موضع سخرية وهزأ من الناطقين باليونانية. الآن وقد جاء السيد المسيح قدم نعمته لكل البشرية دون محاباة.

"فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين، أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة. محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً، إن كان لأحد على أحد شكوى، كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً"

[13 - 12]

- **"أحشاء رأفات"**: تقوم الرأفة على الأحشاء الداخلية، فالحنو نابع عن الطبيعة الجديدة التي صارت لنا، فيتسع قلبنا بالحب والحنو نحو كل بشرٍ كشركة في سمة محب البشر. **"اللطف"**: إن كانت الرأفة تحمل حنوًا وترفقًا على الغير، فإن اللطف يحمل مشاعر الرغبة في الستر على أخطاء الآخرين وخطاياهم، لكن بروح الحكمة، لأجل خلاصهم. **"التواضع"**: مسيحنًا تواضع حين اتحد بناسوتنا وارتضينا أن يخفي مجد لاهوته ليكون كأقل من الملائكة (عبرانيين 2: 7، 9)، بل وصار عبداً كأقل إنسان (فيلبي 2: 6-7). أما بالنسبة لنا فالتواضع هو اكتشاف حقيقتنا، مدركين أننا لا نقدر أن نفعل شيئاً بدون النعمة الإلهية. **"الوداعة"**: هي انعكاس لهدوء النفس الداخلي، متى اتكأت على صدر مخلصها في تسليم كاملٍ لحياتها بين يديه مع ثقة في تدبيره الإلهي. ومن جانب آخر هي شركة مع السيد المسيح في وداعته حتى في لحظات محاكمته، وهو الذي دعانا أن نفتدي به. **"طول الأناة"**: أي الشركة مع الله الطويل الأناة مترقبًا خلاص الخطاة وفتاحاً باب المغفرة لهم.

"وعلى جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال. وليملك في قلوبكم سلام الله، الذي إليه دعيتم في جسد واحد، وكونوا شاكرين" [15 - 14]

- المحبة هي تاج كل الفضائل، والمؤشر الحقيقي لارتداء الإنسان الجديد، هي رباط الكمال. وهي تحتضن كل النعم معاً في الإنسان الجديد وتجذب المسيحي من خلالها إلى الكمال. والكلمة المترجمة "رباط" هي نفسها الواردة في أفسس 4: 3؛ وأعمال 8: 23، وتعني "تضم معاً كما بسلسلة".

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: **"سلام الله"** هو السلام الثابت والدائم، فإن كان لك سلام بحسب الناس، فإنه سرعان ما ينحل، لكن إن كان بحسب الله لا ينتهي أبداً... لا تغضبوا، كما يقول، بل احكموا في المنازعات، ولا تخضعوا للأحقاد، ولا للسلام البشري، فالانتقام سمة البشر وعواقبه وخيمة، لكنه يقول ليس ذلك ما أقصده بل ذلك السلام الذي تركه لنا الرب بنفسه... لأننا بواسطة السلام نحن جسد واحد، ولأننا جسد واحد فنحن في سلام... وحسنًا أضاف:

"وكونوا شاكرين"، لأن الشاكرين والمملوعين مودة يعاملون رفقاءهم كما يفعل الله معهم، خاضعين للسيد، مطيعين معبرين عن شكرنا في كل شيء حتى إن أهاننا أحد أو اعتدى علينا بالضرب... فالشكر هو أعظم الأمور الصالحة.]

"لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل حكمة معلومون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية بنعمة، مترنمين في قلوبكم للرب. وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع، شاكرين الله والآب به"

[17 - 16]

- "فلتسكن كلمة المسيح فيكم بغنى": أي، التعليم والعقائد والنصائح الروحية. يعرض القديس بولس ثلاث طرق بها يمكن أن نعّم الآخرين وننذرهم: المزامير والترانيم والأغاني الروحية. والأغاني الروحية تشير إلى المزامير الملحنة، المقتبسة من العهد القديم. والترانيم تشير إلى التسبيح والعبادة الكنسية لله، كما فعل بولس وسيلا في سجن فيلبي (أعمال 16: 25) وقوله "أخبر باسمك اخوتي وفي وسط الكنيسة أسبحك" (مزمو 22: 22، عبرانيين 2: 12). أما الأغاني الروحية فتشير إلى الأغاني التي تنشأ بشكل طبيعي من المؤمن. يطلب الله صدور تلك الترانيم من القلب.

- "باسم" معناه "لمجد" كقوله "ومهما سألتكم باسمي، فذلك أفعله لئيمجد الآب بالابن" (يوحنا 14: 13). فجوهر الحياة هو الشركة مع السيد المسيح، فيختم كلماته وأعماله باسم الرب يسوع لتفوح منه رائحة الشكر، موضع سرور الآب.

"أيتها النساء اخضعن لرجالكن، كما يليق في الرب. أيها الرجال أحبوا نساءكم، ولا تكونوا قساة عليهن. أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء، لأن هذا مرضي في الرب. أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لنلا يفشلوا" [18 - 21]

- يطالب القديس بولس الزوجة أن تتشبه بالكنيسة الخاضعة لعريسها السيد المسيح، فإن هذا الخضوع ليس مطلقاً، وإنما "كما يليق في الرب". هذا الخضوع هو مشاركة الكنيسة سماتها الفائقة، وفي نفس الوقت هو رد فعل طبيعي لتكريم زوجها لها وحبه وتقديره لها، إذ يليق بالرجال أن يعطوهم "الكرامة كوارثات معهم نعمة الحياة" (1 بطرس 3: 7). فإن كان الرجل لا يسلك كما يليق تشعر الزوجة بتكليف من ربنا يسوع للخضوع لا عن خنوع وإنما كشاهدة لإنجيل المسيح، وكما يقول القديس بطرس: "وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة، يُربحون بسيرة النساء بدون كلمة" (1 بطرس 3: 1).

- يطالب الزوج أن يعامل زوجته كسفير السيد المسيح، ليصير البيت كنيسة مقدسة. خلال هذه الحياة المقدسة يتقدس الاثنان، ويكون لكل منهما أثره على الآخر. كما يطالب الأبناء بالطاعة للوالدين ليس إرضاء لهم، وإنما للرب إذ يشاركون السيد المسيح سمة الطاعة. فلا تكون الطاعة بالنسبة لهم مهانة ولا تحطيماً لشخصياتهم، بل شركة مع السيد المسيح في سماته.

"أيها العبيد أطيعوا في كل شيء ساداتكم حسب الجسد، لا بخدمة العين كمن يرضى الناس، بل ببساطة القلب، خائفين الرب. وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب، كما للرب ليس للناس. عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح. وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة" [22 - 25]

- يضم القديس بولس نفسه إلى طبقة العبيد فيرفع أنظارهم إلى السيد المسيح ليدركوا أنهم يطيعون سادتهم ليس إرضاء لهم بل لرب كل البشرية، لا ليقدم لهم أجر، بل كأبناء ينالون ميراثاً أبدياً. أما السادة الظالمون فيدينهم سيد كل البشرية الذي لا يحابي الوجوه.

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إنه يرغب أن يتحرروا لا من الرياء فقط، بل ومن تكاسلهم، لقد صيرهم أحراراً بدلاً من عبيد، حين لا يحتاجون إلى إشراف سادتهم، لأن التعبير "من القلب" يعني "بارادة صالحة" وليس كحتمية بسبب العبودية، بل بحرية وبملاء الإرادة والاختيار... لكن ماذا لو كنت عبداً (خادماً)؟ ليس في هذا ما يخجلك. ونفس القول يوجهه أيضاً للسادة، كما في رسالته إلى أهل أفسس (أفسس 6: 9)، لكن يبدو هنا أنه يلمح إلى السادة اليونانيين (الأمميين)، لأنه ماذا لو كان هو يونانياً، وأنت مسيحي؟ فإن ما تُفحص ليس الأشخاص بل الأفعال، هكذا فإنه في هذه الحالة يجب أن تخدموا بارادة صالحة ومن القلب.]

